

البصمة التفسيرية الجزائرية عند أعلام الإباضية

—الإمام المصعبي وابن بيحمان أنموذجين—

Interpretative efforts of Ibadi scholars Imam al-Masabi and Ibn Bayhaman as a model

عبد الغاني عيساوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، كلية أصول الدين، مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
abdelghaniomar@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/21 تاريخ القبول: 2023/05/28 تاريخ النشر: 2023/06/07

ملخص:

تطرق المقال إلى البصمة التفسيرية عند أعلام الحاضرة الإباضية، محاولا بيان إسهاماتهم وجهودهم في الدرس التفسيري الجزائري وطريقة التعامل مع الآي الكريم، جاء التمثيل بتراث علمين اثنين من أكابر أعلام المذهب، وهما: الإمام المصعبي أبو يعقوب، والإمام إبراهيم بن بيحمان، معتمدا على مجموعة من أعمالهم التفسيرية التي لازالت مخطوطة حسب بحثي، وقد أبانت الدراسة عن جهود كبيرة وطريقة فريدة في محاولة استنطاق القرآن الكريم وتفسيره وتأويله بالأدوات والأساليب المتفق عليها عند غالب الفرق الإسلامية، مع إظهار للمحنيين بارزين، تمثل الأول في الذب عن أساسيات ومركزات المذهب، والثاني في الاستخدام والاستعانة بتأصيلات وتفرعات باقي المذاهب والاتجاهات الفقهية وحتى العقيدية المخالفة. كل ذلك في سبيل حسن التوظيف للمناهج والأدوات حتى يخرج الكلام في تفسير مراد الله تعالى صائبا سديدا، قدر الاستطاعة المنوطة.

كلمات دالة: المصعبي، بن بيحمان، البصمة، التفسيرية، الإباضية.

Abstract:

The article touched on the explanatory footprint when informing the Ibadi metropolis, trying to explain their contributions and their efforts in the Algerian explanatory lesson and how to deal with the noble verse, the representation came with the heritage of two of the most prominent flags of the sect, namely: Imam al-Masabi Abu Ya'qub and Imam Ibrahim ibn bin Bayhman, relying on a collection of their interpretative works that are still manuscript the study showed great efforts and a unique way of trying to interrogate, interpret and interpret the Holy Quran with the tools and methods agreed upon by most Islamic groups, With a manifestation of outstanding hints, the first was to deflect from the fundamentals and foundations of the doctrine, The second is the use and use of the origins and branches of other doctrines and doctrinal and even doctrinal trends. All of this is in order to make good use of the methods and tools so that the explanation of God's purpose will come out as correct as possible.

.Key words: Al-Masabi, Ben Behman, efforts, interpretive, Ibadi

المقدمة:

يعتبر الإسهام الجزائري في الساحة التفسيرية بأفناها، مساهمة جادة متنوعة ممتدة عبر التاريخ الإسلامي والفتح لهاته الديار العريقة، وكان الاهتمام بالقرآن الكريم تحفيظا وتفسيراً، وعملية الاستنطاق له بغرض الاستهداء والتتبع والاسترشاد، قصدا بارزا في جميع من أدلى بدلوه في هذا المضمار الذي تهيئه الكثيرون في فترات زمنية معينة، والناظر في المنتج التفسيري للحواضر العلمية بأرض الجزائر يجد تنوعا كبيرا، بين خدمته للقرآن الكريم في صورة التفسير الكامل أو السوري أو الآبي وحتى النظامي، وبين الاتجاهات والمناهج المتعددة التي اتبعها المفسرون، وهي دلائل بارزة ظهرت من بدايات الدول المتعاقبة على أرض الجزائر، ابتداء من الدولة الرستمية مروراً بالحمادية والموحدية والحفصية والزيرية والعثمانية وانتهاء بالعصر الحديث. كانت لحاضرة الدولة الرستمية بصمة بارزة في الاهتمام بهذا العلم الشريف، إذ تذهب كثير من المصادر التاريخية أن الإمام عبد الرحمن بن رستم (ت: 174هـ)¹، كان له تصنيف في تفسير

1 : عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى، أحد الخمسة الميامين، ولد في العراق في العقد الأول من القرن الثاني، ويرجع نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس، تزوجت والدته برجل من أهل المغرب، عين واليا على القيروان، خرج إلى تهرت بعد فتنة ابن الأشعث وأسس بها دولته، توفي سنة: 171هـ. انظر: معجم أعلام الجزائر لنويهض، (01/148). والسير، (258).

القرآن الكريم، وهو بهذا يعتبر أول من أُلّف في هذا الميدان داخل القطر الجزائري، وهو القائد الذي جمع بين فن السياسة والعلم، ويأتي تفسير الإمام هود بن محكم الهواري (ت 280هـ)²، ليثبت حقيقة أن أول مكتوب وصل إلينا هو تفسيره المسمى: "تفسير كتاب الله العزيز"، وهي دلائل تظهر اهتمام الحواضر الرستمية بالتفسير وعلومه منذ ذلك الزمن البعيد.

توالى الأعمال التفسيرية للحاضرة الإباضية، إقلالا وإكثارا بحسب الظروف المتعددة تاريخيا، حتى ظهرت منها مجموعة من المصنفات البارزة ذات الملامح التفسيرية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري، كان من أبرزها مصنفات المصعبي أبو يعقوب (ت: 1178هـ)، وإبراهيم بن بيحمان (ت: 1232هـ).

والمقال محاولة للإجابة على إشكالات من أبرزها:

كيف يمكن تقييم التراث التفسيري للشيخين المصعبي وابن بيحمان الذي لا يزال مخطوطا؟ ما منهج كل منهما في التعاطي مع الآي القرآني الكريم تفسيرا وتأويلا؟ وهل تميز أي واحد منهما بلامح خاصة في العملية التفسيرية؟

كل ذلك ستم دراسته بمنهج استقرائي وصفي تحليلي، وقد ارتسم المقال في مطلبين أساسيين مع فروع متعددة، كان الأول بعنوان: الإمام المصعبي أبو يعقوب، وجهوده في التفسير ومنهجه فيه، والمطلب الثاني بعنوان: جهود الإمام إبراهيم بن بيحمان في التفسير ومنهجه فيه، مع ملحق خاص ببعض المخطوطات المعتمدة في الدراسة، ثم خاتمة فنتائج.

المطلب الأول: الإمام المصعبي أبو يعقوب، وجهوده في التفسير ومنهجه فيه:

يرتسم هذا المطلب في فرعين أساسيين، لبيان جهود الإمام المصعبي في التفسير وعلومه، جاء الأول مفردا للتعريف به وبجياته، قصدت فيه الإيجاز إذ الأهم هو الثاني، الذي جعلته لجهوده في علم التفسير ومنهجه فيه، من خلال مجموعة من الأعمال كان التركيز على حاشيته على الجلالين.

2 : هود بن محكم الهواري، فقيه إباضي من قبيلة هواره البربرية، أخذ عن والده، وتفقه في مجالس العلم في منطقته، وتعلم بالقيروان، كان أبوه قاضيا في عهد أفلح بن عبد الوهاب، كان ذا منزلة عند قومه، وأشهر مصنفاته تفسيره للقرآن الكريم، توفي سنة/ 280هـ. انظر: معجم أعلام الإباضية، (443/2) والسير للشماخي، (380).

الفرع الأول: التعريف بالإمام المصعبي:

يوسف بن محمد المصعبي، ولد ببلدة مليكة بميزاب سنة 1079هـ، من عائلة آل ويرو، أحد أعلام الجزائر في التفسير من الإباضيين، سافر إلى جربة مع والده الشيخ محمد المصعبي سنة 1103هـ واستقر بها، أخذ العلم عن شيوخ كثر كسعيد بن يحيى المجادوي وسليمان بن محمد الباروني، وعمر بن علي السدويشكي، وفي سنة 1112هـ سافر إلى تونس ليستزيد من العلم، ثم إلى مصر حيث حضر دروسا بالأزهر، ثم عاد إلى جربة ليصبح مفتي الجزيرة وكبير علمائها ورئيس مجلس الحكم فيها، وله مجالس للتدريس بمساجدها، ولكنه كان أكثر ملازمة للجامع الكبير.

كان آية في العلوم، له معرفة جيدة بعلم الفلك والخط والكيمياء، تتلمذ على يديه ثلة من أعلام الإباضية كابنه محمد بن يوسف المصعبي وأبي زكريا يحيى ابن صالح الأفضلي، وسليمان بن محمد الشماخي، وعمر بن أحمد البغطوري، وغيرهم كثير. توفي رحمه الله سنة: 1178هـ.

صنّف تأليفا مفيدة، وحواش عديدة، بعضها لا يزال مخطوطا منها:

1: «تحفة الأبواب في عذر أولي الأبواب»، رسالة في أصول الفقه، على المذهب الإباضي، نسخة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بسلطنة عمان، رمز المخطوط مع /دغ 80، وهي نسخة منقولة عن خط المؤلف.

2: «حاشية على أصول الدين» والكتاب مطبوع بسلطنة عمان، من تحقيق هو شيهاني كرسالة ماجستير بجامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.

3: «حاشية على شرح الجهالات»، لأبي عمّار عبد الكافي، في التوحيد وعلم الكلام، وغيرها.

الفرع الثاني: جهوده في علم التفسير ومنهجه فيه:

خدم الإمام المصعبي -رحمه الله- التفسير تأليفا، وكان مكثرا من التدريس، غير أن أحدا لم يشر إلى أنه كان مقيما على تدريس تفسيره هذا في حلقاته، وهو ما لا أستبعده، خاصة أنه كان صاحب حلقات متنوعة في كثير من المساجد.

له في التفسير حاشية كبيرة جدا على «تفسير الجلالين» للسيوطي والحلي، وهي مخطوط بالمكتبة البارونية بجربة بتونس، احتوت المكتبة على نسختين منها: الأولى: برقم: 13، بها 730 لوحة، جاءت مبتورة وناقصة غير كاملة، وخطها مغربي دقيق يصعب قراءته، مجهولة النسخ، تراوحت مسطرتها بين 16 إلى 21. (سعيد الباروني، فهرس المخطوطات، 1998م، 13)

والثانية برقم: 94. وبها 1352 لوحة، وهي في مجلدين ضخمين، كل مجلد يقرب من 700 لوحة. بخط مغربي قديم، بدأت الأرضة تنهش منها ومن لوحاتها، حتى طمست بعض الجمل بسببها، وهي نسخة مكتوبة زمن المؤلف دون ذكر لاسم الناسخ، جاء في ورقة الكولوفون: وفرغت من تسويدها آخر شهر: 1181هـ. جاء في ختامها: واعلم أيها الواقف على هذه الحاشية، أن تفسير ذي الجلالين من أجل التفاسير تحقيقا واختصارا، وأسرع في الإيصال إلى الوقوف على فهم كتاب الله بخلاف غيره من التفاسير. (سعيد الباروني، فهرس المخطوطات، 1998م، 14)، وقد اعتمدت في بيان منهج الإمام المصعبي وأسلوبه التفسيري على النسختين معا.

استعمل المصعبي في حاشيته أسلوبا متقنا في العرض، فقد كان يستفتح كلامه بذكر الآية القرآنية بقوله: "تعالى" ويريد بها: قال تعالى، وهي لفظة تظهر انتقاله لتفسير الآيات اللاحقة، ثم يبين كونها مدنية النزول أو مكية، ويورد الخلاف في ذلك أحيانا لا دوما. ثم ينقل كلام الجلالين، ثم يتبعها بكلام البيضاوي، ثم الزمخشري أو التفتازاني أو هود بن محكم، ثم يعقب على أقوالهم ردا تارة، وسكوتا تارة أخرى، وموافقة في مرات عديدة.

كما كان مكثرًا من أسلوب الفنقلة في إيراد بعض المسائل والتطرق إليها، فيكثر من قوله: فإن قالوا، والجواب الصحيح أن يقال، بعد أن يورد الشبهة، أو فإن قالوا قلنا، وهي كثيرة في حاشيته لا يمكن حصرها، وسيأتي التمثيل لها.

وبالرغم من تمذهب الإمام المصعبي بالمذهب الإباضي ومنافحته عنه، إلا أن ذلك لم يمنعه من اعتماد كتب المخالفين في حاشيته هاته على الجلالين، فقد اعتمد كثيرا على تفسير الإمام البيضاوي «أنوار التنزيل» وعلى «الكشاف» للزمخشري خاصة في ترجيحاته اللغوية والنحوية، وعلى حاشية التفتازاني عليه، وعلى كثير من كتب المخالفين، ويتطرق للخلاف فيما بينهم في المسألة الواحدة، وهو دليل على عدم تعصبه، كتفسيره لآية البسملة واعتداده بالقول بأنها آية من كل سورة إذ يقول:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هي آية من أول كل سورة، كما أنها آية من الفاتحة، قال البيضاوي: وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها، وابن المبارك والشافعي، وخالفهم قراء المدينة والبصرة

والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي، ولم ينص أبو حنيفة فيه شيء فظن أنها ليست من السورة عنده. (المصعي، حاشية على الجلالين، مخطوط، أ، 157).

ولم يمنعه هذا التنوع في طرح آراء ومسائل المخالفين من عرض العقيدة الإباضية بأصولها وفروعها والذب عنها، كمسألة الكبائر، إذ يقول عند قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْقِينَ﴾: المعتمد عندنا أن الكبائر لا تغفر إلا بالتوبة، وأما الصغائر فتغفر بأشياء منها اجتناب الكبائر، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَبَوُا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ومنها ما بين الصلاة والصلاة وغير ذلك كما هو مذكور في محله ما لم يصر عليها، لأنهم قالوا: الإصرار على الصغائر كبائر كما هو معلوم، ومما اتفق لي حين كنت بمصر أن وضع لي كلام مع بعض الطلبة الشافعية في شأن الصغائر فقلت له: إنها تغفر باجتناب الكبائر بناء على ما هو مذكور عندنا، فقال لي: إن هذا هو مذهب المعتزلة. فقلت له: قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَبَوُا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الآية، واستمر على قوله ولم يجب الآية، والله أعلم. (المصعي، حاشية على الجلالين، مخطوط، أ، 153/1).

ويظهر قول من وافقه من أصحاب المذاهب الكلامية الأخرى ويشير إلى أنه موافق للمعتقد بحسب تعبيره، كصنيعه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ إذ يقول بعد كلام مطول للإمام البيضاوي: قال في «الكشاف»: أي جمعوا بين الكفر والمعاصي، أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب الكبائر، لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة، انتهى، وهو كما ترى موافق لما هو المعتقد عندنا، وأما البيضاوي فيحمل الكل على الكفر، لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار، وخالدين حال مقدرة. (المصعي، حاشية على الجلالين، مخطوط، ب، 178/1).

وفي موضع آخر يورد كلام البيضاوي وغيره في جواز الاستغفار للكافر والعاصي وتأويلهم للفظ الاستغفار بأنها طلب التوفيق للهداية، ثم يقوم بالرد عليهم، إذ يقول في تفسير قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهَمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ قوله: بأن ماتوا على الكفر، قال البيضاوي: وفيه دفع النقص باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر، انتهى. هو كذلك لكنه منسوخ أو مؤول، فإن المراد بالاستغفار التوفيق والإصلاح هنا يشير إليه بقول: لأنه طلب توفيقهم للإيمان، انتهى. أقول: مقتضى ما هو المعتقد عندنا منع هذا التأويل أيضا، فإن الكافر لا يدعى له بدعاء الآخرة مطلقا لا بتوفيق ولا غيره، كما هو معلوم من قواعد المذهب والله أعلم. أقول أيضا: فإذا فهمت ما ذكرنا أشكل عليك ما ذكره الشيخ هود في هذه الآية، في قوله: ... وتفسير ابن عباس والحسن ﴿ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴾ وكان إبراهيم يرجوه ما كان حيا، فلما مات تبين له أنه عدو لله، لأنه مات على الكفر إلى آخره... ما ظاهره يقتضي جواز الاستغفار له ما دام يرجو إسلامه، وهو غير مناسب. ويدل لما قلنا قول البيضاوي فيما تقدم قريبا من قولنا فيها، وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال: {استأذنت ربي في زيارة قبر أُمِّي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار فلم يأذن لي} (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل، حديث: 1674)، وهذا هو الموافق لما هو المعتقد عندنا للقواعد والله أعلم. فلينظر في ذلك فإنه في غاية الإشكال. (المصعبي، حاشية على الجلالين، مخطوط، أ، 232/1).

ولم يكن الإمام المصعبي في رده هذا متعصبا للمذهب وإن رجح قوله، ذلك أنه ردَّ حتى قول الإمام هود بن محكم الذي يعتبر أهم رموز المذهب، وأظهر أن الناظر قد يستشكل قوله، ثم ختم المسألة بأنها في غاية الإشكال وهذا دليل سعة صدر منه وعدم تعصب.

وفي القراءات القرآنية اعتمد الإمام المصعبي على هذا العلم وأظهر قدرته فيه، فكان يورد مواطن الخلاف في القراءات ويقوم بعرض الخلاف في اللفظة الواحدة كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ إذ يقول: وجملة النفي خبر مبتدؤه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، إيضاح ذلك وبيانه أن يقال: لا نافية للجنس على سبيل التنصيص واسمها مبني على الفتح لتضمنه معنى من الاستغراقية، على هذه القراءة المشهورة، وأما على قراءة الرفع وهي قراءة أبي الشعثاء، فمرفوع بلا التي بمعنى ليس، قال زكريا: الفرق بينها وبين التي لنفي الجنس أن تلك توجب الاستغراق وهذه

تجوزة، قال الرازي: لأن نفي الجنس نفي للماهية. (المصعبي، حاشية على الجلالين، مخطوط، أ، 03/1).

وكان ناقلًا لأقوال بعض الأئمة في القراءات وترجيحاتهم، كصنيعه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، إذ يقول: قال البيضاوي: من جنسكم عربي مثلكم، وقرئ من أنفسكم أي أشرفكم، أقول: قال المفسر في كتابه «الإكليل في استنباط الأحكام من التنزيل»: على قراءة فتح الفاء يستدل به على أن العرب أفضل من العجم وأن قريشا أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش. (السيوطي، الإكليل، 1981، دار الكتب العلمية، 146)، انتهى. (المصعبي، حاشية على الجلالين، مخطوط، ب، 234/1).

وقد اتسمت حاشية المصعبي بكثرة النقل والإسهاب فيه، فكان يورد أقوال الأئمة من كتب التفسير والحواشي واللغة والفقه وغيرها من الفنون، وقد ينقل في المسألة الفقهية الواحدة العشرات من الأقوال، كصنيعه في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ حيث أورد كلام الجلالين في حكم ترك التسمية على الأكل، ثم أعقبه بقول البيضاوي ثم الصفوي، ثم تعرض لأقوال المذاهب الفقهية فيه، ويختتمها برأيه منتصرا لمذهبه إذ يقول: قال البيضاوي: مسبب عن إنكار أتباع المضلين الذين يجرمون الحلال ويحللون الحرام، والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه، انتهى. قال محشيه: ظاهر الآية تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا، وهو مذهب بعض السلف وإليه ذهب داود الظاهري وعن أحمد مثله. قال الصفوي: "وعند كثير من السلف وهو المشهور من مذهب مالك وأحمد وعليه أبو حنيفة وأصحابه. وقيل الإجماع منعقد على ذلك، وأن ترك التسمية نسيانا لا يضر، وأما عمدا الذبيحة حرام". انتهى، وأقول: وعندنا الحكم كذلك، وعليه الشافعي. (المصعبي، حاشية على الجلالين، ب، مخطوط، 231/1).

ومن العلوم التي تطرق لها المصعبي واعتمدها في حاشيته هاته علم اللغة والإعراب فقد كان مكثرا منها، معتمدا بالخصوص على كلام الزمخشري وتقريراته واختياراته الإعرابية والنحوية، كصنيعه عند تفسير أوائل سورة هود إذ يقول: ﴿الرَّكَتَٰبُ أَهْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصِلَتْ مِنْ لَدُنْ

حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿ سورة مكية، وهي مائة وثلاث وعشرون آية، هذا كتاب: أشار به إلى أن كتاب خير مبتدأ محذوف، وجوز فيما بعده صاحب «الكشاف» أوجها من الإعراب حيث قال في إعرابه وإعراب ما بعده ما نصه: ﴿ كَتَبْتُ ﴾ خير مبتدأ محذوف و ﴿ أَحْكَمْتُ ﴾ صفة له، وقوله: ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ صفة ثانية، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر، وأن يكون صلة لأحكمت، و ﴿ فَضِلْتُ ﴾ أي من عنده، إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن، لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خير عليم بكيفيات الأمور، انتهى. أي بأن جعل أن مصدرية فلذلك مقدر قبلها الباء، وزاد البيضاوي احتمال كونها كلاما مبتدأ للإغراء على التوحيد. (المصعبي، حاشية على الجلالين، مخطوط، أ، 273/1).

وأسهب في الحديث عن إفادة المبتدأ والخبر عند شرحه لكلام البيضاوي: من أن فائدة الإخبار عنه -الوارث- باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر. في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنَّ أُمْرًا هَٰذَا هَلَاكٌ لِّسَ لَّهُ، وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِيْهُمَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۖ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ إذ يقول: ما يقال لا بد أن يفيد الخبر ما لم يفده المبتدأ، وهنا ليس كذلك إذ ما أفاده الخبر هنا مفاد من ضمير كانتا، وحاصل الجواب أن اثنتين يستحقان الثلثية بمجرد هذا العدد من غير اعتبار تقييد بصغر أو كبر أو غيرهما من الأوصاف، ورد بأن هذا القدر مفاد من ضمير كانتا أيضا، ومن ثم أجيب بأن ضمير كانتا للوارثين، وأن الاثنتين صفة محذوفة، ليس يفيد الخبر ما لم يفده الضمير، والتقدير فإن كانتا الوارثتان اثنتين من الأخوات، انتهى. (المصعبي، حاشية على الجلالين، مخطوط، ب، 179/1).

ومن علوم القرآن التي اعتمدها المصعبي في حاشيته علم الناسخ والمنسوخ، ولم يكن متطرقا له بإسهاب غير أنه تطرق لمواطن ذكرها صاحب الجلالين، كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحْ ۖ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ قوله: هذا منسوخ بآية السيف، الإشارة على قوله ﴿ وَلَا ءَامِنِينَ ۖ أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾، قال في كتاب «الناسخ والمنسوخ» في قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴿١٠٠﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا أَلْهَدَى وَلَا أَلْقَلَيْدَ﴾: هذا محكم، والمنسوخ ﴿وَلَا ءَامِينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ ﴿١٠١﴾ إِلَى ﴿يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ إِلَى هَاهُنَا مَنْسُوخٌ وَمَا قَبْلُهَا مُحْكَمٌ، قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ الْخُطِيمَ وَاسْمُهُ شَرِيحٌ بَنُ ضَبِيعَةٍ بَنُ شَرْحِبِيلَ الْبَكْرِيِّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْرُضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الدِّينَ، فَقَالَ: أَرْجِعْ إِلَى قَوْمِي فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمْ مَا قُلْتَهُ فَإِنِ أَجَابُونِي كُنْتُ مَعَهُمْ وَإِنِ أَبَوْا عَلَيَّ كُنْتُ مَعَهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: {لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ بُوجْهٌ كَافِرٌ وَخَرَجَ بَعْقِي غَادِرٌ} فَمَرَّ بِسِرْحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ، خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ فِي إِثْرِهِ فَأَعْجَزَهُمْ فَلَمَّا كَانَتْ عَمْرَةَ الْقِضَاءِ وَهُوَ الْعَامُ السَّابِعُ سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ تَلْبِيَةَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَرَبِ تَلِيَّ عَلَى حَدِّهَا، فَسَمِعُوا بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ تَلِيَّ وَمَعَهُمُ الْخُطِيمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَذْهَبُ أَوْ تَغْيِرُ عَلَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (الطبري، الجامع، 9981) ﴿وَلَا ءَامِينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ إِلَى ﴿يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ يَعْنِي الْفَضْلَ فِي التِّجَارَةِ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ وَهُوَ لَا يَرْضَى عَنْهُمْ، فَصَارَ ذَلِكَ مَنْسُوخًا بِآيَةِ السَّيْفِ. (ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ، المكتب الإسلامي، 1404هـ، 80)

ويمكن القول بعد هذا البيان لأسلوب الإمام المصعبي أن هاتاه الحاشية والتي لا تحمل عنوانا معيناً، ذات قيمة علمية كبيرة، وأنها حاشية جامعة لمجموعة من التفاسير كتفسير البيضاوي والزمخشري والسعد والتفتازاني وغيرهم، مع اختلاف مناهج ومعتقدات أصحابها، وهو بها يفتح باب التأليف في التفسير الواحد الجامع لعدة معتقدات ومذاهب، وهي بعد هذا بحق ثلثة كبيرة في تاريخ الجزائر العلمي التفسيري إن استمرت الأرضة في نحش لوحات هذا المخطوط، خاصة أن نسختها المعتمدة وحيدة في مكتبة البارونية بتونس.

المطلب الثاني: جهود الإمام إبراهيم بن بيحمان في التفسير ومنهجه فيه:

الفرع الأول: التعريف بالإمام إبراهيم بن بيحمان:

إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني اليسجني، من علماء بني يسجن البارزين، كان مؤلفاً وشاعراً جليلاً وعالمًا حكيمًا وأديبا فيلسوفاً ورحالة، وممن تولى رئاسة مسجد بني يزقن، وهو من أنصار النهضة الإسلامية الحديثة، والدعاة لها بالخطب والوعظ والإرشاد، فكان يتنقل بين مدن وادي ميزاب يدعو إلى العلم ويحارب الجهل والبدع، له صلوات وثيقة بعلماء الجزائر والمغرب وعمان، من شيوخه الشيخ عبد العزيز الثميني، والشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي وغيرهم، له تلاميذ كثيرون.

من آثاره: «شرح موازين القسط»، و«بيان جملة التوحيد»، و«الرحلة الحجازية» نثرا ونظما، «تلخيص عقائد الوهبية في نكتة توحيد خالق البرية»، و قصائد عديدة منها «قصيدة البردة في مدح خير البرية» وغيرها. (يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، 2014، المطبعة العربية، 117) وقد كان يملك مكتبة ثرية بنفيس المخطوطات، انتقلت بعد وفاته إلى حفيده عبد الله بن محمد بن إبراهيم، حاولت البحث عنها وعن صاحبها ولكن دون جدوى.

الفرع الثاني: جهوده في علم التفسير ومنهجه فيه:

الشيخ الإمام بن يبحمان أحد الأعلام المزابيين والمشايخ الإباضيين الذين خدموا التفسير تأليفاً، إذ لم تشر المصادر التاريخية وكتب التراجم إلى العلوم التي كان يقوم بتدريسها لطلابه، وهل كان التفسير أحد تلك الدروس أم لا؟ وهذا ما لا يستبعد، كونه ذا اهتمام كبير بالتفسير وعلومه. له في التفسير مجموعة من التأليف والتصانيف غالبها في عداد المخطوط الذي لم يطبع، وهي:

الأول: «تفسير آيات النور من سورة النور» مخطوط، أشار الشيخ يوسف بن بكير أنه ألّفه في محرم سنة: 1221هـ.

الثاني: «المعدن المصون على سورة الكنز المدفون» تفسير سورة الفاتحة، مخطوط، ذكر الشيخ يوسف بن بكير أنه فرغ منه في محرم 1221هـ، وهو نفس تاريخ تأليفه لتفسير آيات من سورة النور. (يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، 2014، المطبعة العربية، 117)

الثالث: «أصداف الدر وأكام الزهر الموضوعة على سورة والعصر» أشار إليه صاحب «المعلمة» «وأخبر أنه مخطوط، غير أنني وقفت على تحقيق له للأستاذ إبراهيم محمد طلاي. (بشير ضيف، المعلمة، 2007، دار ثالة، 39)، وهو تفسير لسورة العصر، وجاء في رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الخمسين صفحة.

الرابع: حاشية على «أنوار التنزيل وأسباب التأويل» للبيضاوي، منها نسخة بمكتبة الاستقامة، ونسخة ثانية بمكتبة الحاج إبراهيم أوزكري بغرداية، ذكر «معجم أعلام الإباضية» أنها مخطوط. (محمد باباعمي، معجم أعلام الإباضية، 2000، دار الغرب الإسلامي، 13/2)

والباحث يرى أنها ليست بحاشية بقدر ما يمكن اعتبارها تعليقات بسيطة في بعض المواضع على تفسير البيضاوي لم تتعد الصفحات فقط، خاصة وأن النسخة التي كتب فيها متن «أنوار التنزيل وأسباب التأويل» كانت وقفا من الشيخ الحاج علي بن عباد الجري على الشيخ إبراهيم بن

بيحمان، والتي امتلكها من بعده الشيخ القطب أطفيش، وترك فيها أيضا مجموعة من التعليقات التي يقارب حجمها تعليقات الشيخ بن بيحمان، كما أن التفاوت في التعليق بين السور والآيات كان بعيدا جدا، فبعد تعليقه على تفسير البيضاوي مثلا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتِ بِشَرٍّ مِنْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لم نجد له أي كلام أو تحشية أو تعليق إلى غاية قوله تعالى من سورة هود: ﴿وَهُوَ يَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرَكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾

وكذلك من قوله تعالى مثلا: ﴿وَقِيلَ يَتَّزِجُ رَبُّكَ سَمَاءَ الْقَلْبِ وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعَقْدَارٍ﴾. إلا ما كان من بعض الجمل المتناثرة الموجزة والتي لم أستطع الجزم بكونها من تعليقات الشيخ إبراهيم بن بيحمان أو الشيخ أطفيش، لأنها كتبت طوليا، ذلك أن تعليقات الشيخ بن بيحمان كتبت على حاشية المتن بنفس النسق، في حين تعليقات الشيخ أطفيش جاءت بالمقلوب. والنماذج في ملحق المخطوطات المعتمدة تبين ذلك.

وتجدر الإشارة أن تلك "التعليقات" توقفت عند أواخر سورة الإسراء، وهو موضع انتهاء الجزء الأول من المخطوط، وتنتفي فكرة إمكانية وجود جزء ثان للشيخ، ذلك أن نص التمليك، مكتوب كالتالي: "وقف وحبس لله بيد عمنا الشيخ العالم العلامة إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد الثميني اليسجني المصعبي، الحاج علي بن عباد الجري، الجزء الأول من تفسير القرآن للبيضاوي، وقفا مؤبدا وحبساً مؤكدا لا يباع ولا يشتري ولا يوهب ولا يورث، بتاريخ أوائل ربيع الثاني من سنة: 1197هـ". (حاشية على أنوار التنزيل، بن بيحمان، مخطوط، أ، 01)

الخامس: «شرح البسملة» مخطوط، منه نسخة بمكتبة الحاج صالح لعللي، ذكر أنها بخط المؤلف وهي ضمن مجموع كتبه المؤلف.

السادس: «حاشية على شرح البسملة» مخطوط، نسخة بمكتبة الحاج صالح لعللي، ذكر أنها بخط المؤلف أيضا.

وكلا العاملين في شرح البسملة والحاشية عليها، ذكر في سبب تأليفهما أنه كان "متبركا بها في شرحها اقتداء بكتاب الله العظيم، وعملا بالخبر الوارد عن النبي الكريم من طريق غير واحد من العلماء الأكابر الأعلام من أمة سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام: {كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتَر أو أقطع أو أجذم} على الروايات المشهورة". (شرح البسملة، مخطوط، 150).

ولم يكن فيهما مفسرا بقدر ما كان مبينا لبعض مسائل وفضايا البسملة الفقهية والعقدية والتعبدية، وعلى الرغم من الصبغة التفسيرية عموما واللغة المستعملة فيهما إلا أني أرجح كونهما من رسائل الاعتقاد لا التفسير.

ولأجل بيان أسلوب الشيخ بن بيحمان في التفسير وعلومه، وطريقة عرضه وتعرضه للآيات القرآنية الكريمة، فقد اعتمدت على مصنفه: «أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر» وهي نسخة مرقونة أعدت للإخراج -بحسب ظني- تحصلت عليها مرقونة دون الحصول على مخطوطها، ذكر محققها أنها نسخة مكتبة الإستقامة، وأنها "كانت ضمن ملزمة جمع فيها المؤلف -رحمه الله- جملة من آثاره نثرا وشعرا بخطه الذي يمتاز بالوضوح والسلامة من الأخطاء". (بن بيحمان، أصداف الدر، مخطوط، ب، 01).

استفتحتها الشيخ ببيان فضائل القرآن، وأن "سورة من أقصر سوره قد أحاطت ببعض ما ذكر من غرائبه، وهي سورة العصر، لمن تأمل ما فيها وتدبر وأمعن نظره فيها وتفكر" وأنها "تحتاج إلى تعليق يكشف النقاب عن وجوه مخدّراتها، ويزيل الحجاب عن أبعاد مهماتها ومعضلاتها". (بن بيحمان، أصداف الدر، مخطوط، أ، 02).

ثم ذكر عناونها وآياتها جميعا ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ وأردفها بكونها مكية النزول.

ثم عقد لكل آية من آياتها تعاريف لغوية ثم مسائل فقهية أو عقدية أو مواعظ تذكيرية، وعلى هذا المنوال سار تفسيره لسورة العصر غالباً.

ففي أول آية منها في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ بعد أن تعرض لاختلافهم في معنى العصر باختصار موجز دون إسهاب منه، ودون أن يبين مذاهب أصحابها، تعرض لمسألة ما يجوز الحلف به ثم كفارة اليمين فأنواع الإيمان، ثم الحنث ثم وقت إخراج الكفارة وبعض مسائلها.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ﴾ بعد بيانه أنها من الأحرف الناسخة، تعرض لمواضع كسرهما وذكر منها عشرة مواضع، مستشهداً بالآيات القرآنية الكريمة.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ بعد إعرابه للإنسان، ذكر كلاماً طويلاً في المنطق، من تعاريف لماهية الإنسان، وأنها "كليات منحصرة في خمسة، لأنها إما نفس تمام الماهية أو جزء منها داخلاً فيها أو عارضاً خارجاً عنها"، ثم عددها وختم كلامه بالقول: "ومحل بسط الكلام في هذا المقام كتب المعقول". (بن بيهمان، أصداف الدر، مخطوط، أ، 10-11).

وتظهر المسائل الكلامية والعقائدية جلية في تفسيره هذا، فقد كان يشير إليها إلى ما ذهب إليه الإباضية في كل فرصة أتاحت له، كتعرضه لمسألة الإيمان والتعريف به، وندد طويلاً برأي المرجئة لمخالفتهم مفهوم الإيمان والتعريف به، ثم تطرق للتكفير بالكبيرة عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إذ يقول: "والمرتكب لكبيرة والمضيع لفريضة يسمى عندنا موحدًا منافقًا كافرًا نفاق، عاصياً ضالاً فاسقاً، مجرمًا بارئاً من الشرك، وانعزى من الإيمان ووسم بحيلة النفاق والعصيان، مذبذباً بين هؤلاء وهؤلاء". (بن بيهمان، أصداف الدر، مخطوط، أ، 30).

ثم عرّف الصلاح والمراد بالأعمال الصالحة، وتطرق لمسألة الخلط بين الأعمال الصالحة والسيئة والموقف الشرعي من صاحبها، وكل ذلك مستنداً لمجموعة من الآيات والأحاديث من متون وكتب ومصادر السنة وغيرها من الفرق الإسلامية الأخرى.

وفي نفس الآيات تعرض لمسائل فقهية متعددة، فقد ذكر ركن الصلاة وبعض أحكامها وشروطها، ثم ركن الزكاة وركن الصيام وشرطه من تقديم النية وإمساك عن مفطر، ثم عدد مجموعة

منها كالحج والجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغيرها من الأمور التي ذكرها للوصية ممزوجة بأحكامها الفقهية.

كما تعرض للمنهيات الشرعية لحد العورة في المذهب، ولمس بدن الأجنبية وقطعية الرحم والعقوق وبعض البيوع المحرمة وغيرها، جاعلا منها كبائر لا تغفر إلا بتوبة مع شروط. (بن بيهمان، أصداف الدر، مخطوط، ب، 28).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعرف التواصي والحق ومعانيه والصبر ولوازمه تعريفا موجزا، ثم يسرد في الصبر مجموعة كبيرة من الآيات القرآنية الدالة والموصية بالصبر، فاقت العشرين، ويخبر أن الوصية الحقّة التي أشار الله سبحانه إليها في قرآنه الكريم، هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ثم يورد مجموعة من الآثار والأحاديث، كحديث التنافس على الدنيا، وحديث أشد الناس بلاء وغيرها، وصية منه للناس ونصحا.

ليختتم مصنفه بمجموعة من القصص الوعظية ذكر أنها: "خاتمة مستطرفة، ذيلت بها هذه السورة ونسأل الله فضلها وحسن الخاتمة"، أورد مجموعة كبيرة منها، بدءا من قصة أم سليم التي توفي عنها ولدها دون إخبار زوجها، ثم قصة صابرة بني إسرائيل، فقصة مالك بن دينار وتوبته، فقصة اليمينية ذات المنصب والمال وتقلب الحال بها، فقصة صاحب الرباط، وقصة شريح. ومن غريب الأمر أنه جعل آخر كلامه تعريف الصبر لغة ثم ذكر مواردها واستعمالاتها عند العرب قديما، وختمها بأبيات شعرية جاء فيها:

كن عن همومك معرضا *** وكل الأمور إلى القضا

وأبشر بخير عاجل *** تنسى به ما مضى

فلربّ أمر مُسْخَط *** لك في عواقبه رضا

الله يفعل ما يشاء *** فلا تكن متعرضا

ويجدر في نهاية هذا التوصيف لمصنفه: «أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر» التنبيه إلى أنه كان خاليا من بعض علوم التفسير كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات وغيرها من الفنون، وأنه لم يعن كثيرا بالجانب اللغوي النحوي، إلا ما كان من إشارات موجزة في إعرابه لبعض المصطلحات فقط، وأنه كان مكثرا من الاستناد للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكذا بعض الآثار.

وعن منهجه في انتقاء الأحاديث وروايتها فقد كان غالبا ما يورد الأحاديث بذكر متنها فقط، وفي بعض الأحيان كان يمزج بين الحديثين والثلاث بل والأربع في متن واحد، ومن أمثلة الأول حديث: {في الصبر على ما تكره خير كثير} الذي أخرجه الحاكم في مستدركه (6327)، ومن أمثلة الثاني حديث: {إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وما زالت أكلة خبير تعاودني فهذا أون انقطاع أبهري، أيها الناس قد بلغني عنكم أنكم جزعتم بموتي وهل مخلد من كان قبلي، فيمن أرسل إليهم حتى أخلد فيكم} والحديث في مصادر كتب السنة ذو مخارج متعددة ومتنه غير هذا المذكور، فالجزء الأول منه: {إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم} (النسائي، السنن الكبرى، 7252) عن فاطمة بنت اليمان عند النسائي، والجزء الثاني {وما زالت أكلة خبير تعاودني فهذا أون انقطاع أبهري} من حديث عائشة في المستدرک والصحيح، وقد أسنده المحقق لكتاب: محمد رضا «محمد رسول الله» وهو كذلك، ولم أجد نصه بهذه المتن في كتب الحديث.

الخاتمة:

مما سبق بحثه وبيانه، يتضح أن الإمام المصعبي وابن بيحمان، كانت لهما مشاركة كبيرة وفاعلة في الحقل التفسيري بآثارهما وأعمالهما التي لا زالت لحد اللحظة مخطوطة حبيسة الرفوف والمكتبات والزوايا، والتي لم نستطع إخراجها لعالم المطبوع ووضعها تحت تصرف الطلبة والباحثين قصد النهل منها والانتفاع بها، ونخلص بعد هذا العرض إلى ما يلي:

- أن جهودهما كانت خدمة للتفسير بالرأي، في تطور ملفت للتفسير بالمأثور الذي اعتمدته المدرسة الإباضية لأزمة طويلة مخافة الخروج عن مراد الشارع.
- كما اعتمدا على تفاسير المخالفين من المذهب، واعتدوا بكثير من قضاياهم في بعض الأصول والفروع، واعتمدا طريقة النقاش مع الترجيح لما هو مختلف فيه.

- كثيرة هي العلوم القرآنية التي اعتمدها العلمين في تفاسيرهما، غير أنها عند الإمام المصعبي أظهر وأبرز وأحكم، كالناسخ والمنسوخ، والغريب، وعلم المناسبات وغيرها.

- اعتمد المصعبي على الجلالين وقام بالتحشية عليها، متتبعا خط سير الإمامين في تفسيرهما، وكان مظهرها لمعتقد الإباضي في أصول القضايا وفروعها، ولكن بلغة النقاش والأدلة كانت تحشيتها، وكان رده على القضايا المختلف فيها، خلافا لصنيع ابن بيجمان الذي لم يكن مكثرا من إيراد أقوال المخالفين.

- يظهر جليا خفوت نبرة التعصب للمذهب، ومحاولة الجمع لمجموعة كبيرة من التفاسير المتفق معها أو المختلف داخل التصنيف الواحد، كما هو الصنيع مع المصعبي الذي ردّ في بعض الأحيان حتى على الإمام هود بن محكم الهواري، ورجح أقوال المخالفين في بعض المسائل، وكان حضور الزمخشري والبيضاوي والطبري في تفسيره ملفتا ظاهرا.

هذا وتدعو الورقة البحثية إلى ضرورة إخراج وتحقيق كل التراث التفسيري الجزائري بكل مناهجه واتجاهاته، كما وتدعو إلى ضرورة تبني منهج المحاكمات والتعقبات على التفاسير بعضها على بعض داخل المتنوع التفسيري الجزائري.

ملحق بلوحات المخطوطات:

مخطوط حاشية المصعبي على الجلالين، نسختان: الأولى: نسخة المكتبة البارونية بمدينة جربة بتونس: رقم حفظ: 13. تفسير. الثانية: نسخة المكتبة البارونية بمدينة جربة بتونس، رقم حفظ: 94. تفسير.



مخطوط حاشية إبراهيم بين ييحيان على أنوار التنزيل للبيضاوي لإبراهيم بن ييحيان (ت : 1232هـ) نسخة مكتبة الإستقامة بغرداية، غير مرقمة:



مخطوط شرح البسملة لإبراهيم بن يحيى (ت: 1232هـ)، نسخة مكتبة الحاج صالح العلي بغرداية، غير مرقمة:



قائمة المصادر والمراجع:

1. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15، ت: 2002م.
2. تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المطبعة العربية، الجزائر، ط: 3، ت: 2014م.
3. الدولة الرستمية، إبراهيم بحاز، نشر جمعية التراث، الجزائر، دط، ت: 1988م.
4. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، محمد عبد الحفي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، ت: 1982م.
5. فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف بن أبي بكر، دار ثالة، الجزائر، ط: 02، ت: 2007.
6. معجم أعلام الإباضية، محمد بن موسى باباعمي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، ت: 1421هـ / 2000م.
7. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط: 03، ت: 1409هـ / 1988م.
8. الموجز في تاريخ الجزائر، يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت: 2009م.

مخطوطات:

- ✓ شرح البسملة، لإبراهيم بن بيحمان، نسخة بمكتبة الحاج صالح علي، ذكر أنها بخط المؤلف ولم يذكر رقمها.
- ✓ حاشية المصعبي على الجلالين، نسخة البارونية اللوحة الأولى من المخطوط. نسخة برقم: 13، وأخرى برقم: 94.
- ✓ حاشية إبراهيم بن بيحمان على أنوار التنزيل للبيضاوي، مكتبة الاستقامة، غرداية غير مرقمة.
- ✓ أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، إبراهيم بن بيحمان، نسخة غرداية مكتبة الاستقامة.